عاش فقيراً...ومات غنياً

مات الفنان الكبير محمد سعد عبدالله، بعد رحلة طويلة وشاقة مع الحياة..صارع فيها القهر والخوف والظلم والفقر والمرض بسلاح الفن.

منذ أن وعى جيلنا في الخمسينات من القرن الماضي هموم، الوطن الذي كان شطراً منه يرزح تحت نير الاستعمار الأجنبي،وشطره الآخر يئن تحت سطوة الاستبداد الإمامي، كان محمد سعد عبدالله واحداً من الرواد الذين رفعوا بيارق التغيير من أجل وطن حر وشعب سعيد وكان الفن سلاحه في معارك الكفاح من أجل الحرية والدفاع عن الهوية اليمنية للجنوب المحتل في مواجهة المشاريع التي استهدفت تلفيق هوية بذيلة.. وكانت أغنيته «قال بن سعد» التي هاجم فيها مشروع ضم عدن إلى اتحاد الجنوب العربي خير مثال على ذلك .

غنى للإنسان، وغاص في عالمه الداخلي،حيث نقل من داخل العالم أحاسيسه وأشواق عواطفه، وأحزانه وأفراحه إلى ذرى الحرية.

ونجد في تراثه الشعري الفني والموسيقي إحساس الإنسان بمتعة الحب، وبهجة الوصال، ووجع الافتراق وصدمة الغدر .

قدم للوطن أروع الأغاني، وأسهم بقسط عظيم في تحريض الناس للكفاح ضد الاستعمار وللثورة على الظلم. وللفن كرس كل حياته .

أحمد الحبيشي

والفن والحياة عند محمد سعد عبدالله هما الإنسان..وظيفة الفن عنده هي تخليص الإنسان من قيوده وتمكينه من العيش لحظة حرية في الحياة.

ولذلك حرص على أن تكون الحرية بيرق الفن والإنسان والحياة في آن واحد.

وحرية الفن عند محمد سعد عبدالله فرضت عليه تخطي المعاني القديمة والأشكال البالية...أما حرية الحياة عنده فهي لا تكتمل بدون إدراك الضرورة..بماهي ضرورة الحياة الحرة.

عاش محمد سعد عبدالله فقيراً..وقدم خلال حياته للناس فناً عظيماً...وعندما رحل عن حياتنا ترك خلفه تراثاً غنيا بكل عناصر الخلود.. وأبرز ما يميز هذا التراث أنه يرمز إلى هوية الأرض التي ارتبط بتضاريسها.. ولعل هذا الفنان العظيم.. ويجسد هموم المجتمع الذي ينتمي إليه..ولطالما كان فنه العظيم عنواناً لهذا الوطن ورسالة إلى العالم المحيط.

تعرض الفنان محمد سعد عبدالله كفنان عظيم للظلم والأذى في محطات كثيرة من حياته،ولم يكن يشكو ظلمه لأحد...بيد أنه لم يكن يقبل هذا الظلم على فنه عندما يصبح عدواناً على هويته التي يعتز بها، ولذلك فإنه لم يسكت أمام اللصوص الذين سرقوا فنه العظيم بعد أن أصبح جزءاً من هوية الوطن الذي أنجبه.

صرخ محمد سعد في وجه لصوص فنه في بعض دول الجوار الذين درجوا على سرقة أغانيه وتقديمها للناس على غير حقيقتها وهويتها: (ليس مهما أن تقولوا أن محمد سعد عبدالله هو من صاغ كلماتها ولحنها، وأول من غناها قبل عقود من الزمن،ولكن الأهم هو أن تقولوا للناس إنها أغنية من اليمن)؟!

بسبب فنه العظيم سرق كثير من اللصوص والمتاجرين عشرات الأغاني التي كتب كلماتها وصاغ ألحانها وغناها بن سعد في الخمسينات والستينات والسبعينات من القرن الماضي،ولم يكتف أولئك اللصوص بتلك الفعلة،بل إنهم اختاروا لها هوية مزورة بعد أن نهبوها خلسة من صاحبها ونزعوا عنها هوية المكان.

ما أقسى الحزن حين يرتبط برحيل هامة شامخة مثل محمد سعد عبدالله،وما أثقل الزمن عندما غاب عنه محمد سعد عبدالله...وما أثقل الحياة حين يغيب عنها أحد رموز تاريخنا الحديث.

من حق بن سعد علينا إحياء ذكراه وحماية تراثه الفني العظيم من عدوان البشر والحجر،وحين نقوم بشيء من هذا القبيل نكون قد وفينا الراحل بعض ما يستحقه من وفاء وتكريم.

ألحان محمد سعد عبدالله اكتسبت الخلود

الفنان/محمد مرشد ناجي

عرفت الزميل محمد سعد عبدالله منذ كان في سن مبكرة يصاحب المطربين القدامى كعازف ايقاع،الا أنه استقر به الحال طويلاً في هذا المجرى لدى المطرب أحمد عوض الجراش حتى أصبح مطرباً متألقاً في سن مبكرة وفي هيكل مصور بالثياب على حد تعبيره في إحدى أغانيه وكان يقف بثبات مع أساطين الغناء اليمني في كل المناسبات لتمكنه من ألوان هذا الغناء يساعده صوته القوي وصبابته العذبة الصافية إضافة إلى ما كان يحفظه من أغان و أوبريتات للأفلام المصرية الغنائية المنتشرة آنذاك(في الخمسينات)وفناناً قد نبت في الأصل في بيئة فنية ومع مرور النشاطات التجديدية في كل من عدن ولحج التحق بندوة الموسيقى العدنية وفنانها خليل محمد خليل وعندما انشقت لأسباب لا نعرفها حتى اليوم، كون المنبثقون(رابطة الموسيقى العدنية) وانخرط محمد سعد عبدالله فيها.كانت(محلا السمر جنبك) باكورة ألحانه التجديدية في الغناء اليمني وجاءت لتبشر بميلاد موهبة جديدة للتجديد الفني الغنائي وحققت نجاحاً جماهيرياً كبيراً.

ثم كانت المفاجأة عندما طلع فناننا على الناس بأغنية من تأليفه(يا ناس ردوا حبيبي وروحي يا ناس لا تحرموني) واستقبلها الجماهير بحماس كبير، إلا أن البعض من مؤلفي الأغاني قد اعتبرها تجربة عاطفية عصفت بالفنان ولم ير أفضل منه بالتعبير عن هذه التجربة وعلى أنها (سحابة صيف) لن تتكرر وإذا ما كررها فلن يكون ذلك إلا نادرا.

ولكن فناننا أسقط اعتبار هذا البعض واستمر يؤلف كلمات أغانيه بنسبة نجاح تام على الصعيد الجماهيري وفي الجزيرة العربية وعلى الرغم من هذا النجاح فقد تعرض لبعض الكتابات الهجومية من بعض الصحف المحلية في الستينات،ولم يثنه الهجوم عن استمراره في التأليف لأغانيه..واكتسبت ألحان هذه القصائد الخلود وهذا مبعثه الأسلوب التجديدي السليم الذي سلكه في معظم قصائده لمعرفته بأساليب النغم اليمني أولاً والعربي ثانياً الذي مارسها طويلاً أبان نشأته الفنية.

وألحانه في رأينا هي إضافة جميلة إلى النغم اليمني الخالد.وهذا هو رصيده النغمي التجديدي باعتراف الجماهير والعازفين من أهل الفن في اليمن والجزيرة العربية.

حقائق في حصاد الذكريات

أحمد محمد الضمبري

لقد اشتهر ابن سعد بدماثة الأخلاق وسعة كرمه..وروعة وفائه،فإذا وعد أوفى، وإذا حب أخلص، وهو يذكرني بالمقام الموسيقي الذي يسميه الموسيقيون(راح الأرواح) لأن كلماته وألحانه وأخلاقه راحة (الأرواح والقلوب).

للفنان الكبير دين عليَّ لم اتمكن من الوفاء به حتى الآن...

وعندما وجدت فيه روح الفنان الإنسان الذي يحترم زمالة العمل الفني ويشجع الفنان على العلم والمعرفة، ويساهم مساهمة عملية في هذا التشجيع وهذا ما لمسته عندما بادر في تقديم وصلة غنائية في الحفل الفني الذي أقامه المجلس الأعلى للموسيقى والمسرح في مطلع السبعينات لصالح استكمال دراستي للفنون المسرحية في القاهرة.

وله مساهمات مماثلة مع العديد من زملاء العمل الفني التي رأيت فيها الرجل الكبير بفنه وبخلقه ومروءته.. كبيراً بإنسانيته..كبيراً بكرمه وروعة وفائه للأرض والإنسان ولرسالته الفنية السامية والإنسانية تجاه الأرض والإنسان.

إن فناننا الكبير محمد سعد عبدالله الذي كتب ولحن وقدم بصوته الجميل الأغنية العاطفية والموضوعية والرمزية والنشيد الوطني له بصمات واضحة في تنشيط الصحافة الرياضية..من خلال أسلوبه الجميل في صياغة المقالة النقدية في مجال الصحافة الرياضية..

وله أيضاً مؤلفات في المسرح الكوميدي والمسرح الغنائي، ومن أهم مؤلفاته المسرحية مسرحيته الغنائية الشهيرة (زائر من الأرض) التي أخرجها للمسرح المدرسي الفنان المسرحي أبو بكر القيسي وقدمها نخبة من الفنانين بالإشتراك مع الفنان أحمد علي قاسم. والملاحقة والمتابعة لمشوار بن سعد بحاجة إلى الجهد والوقت لتناول مختلف مراحل سيرة مشواره الفني والأدبي.

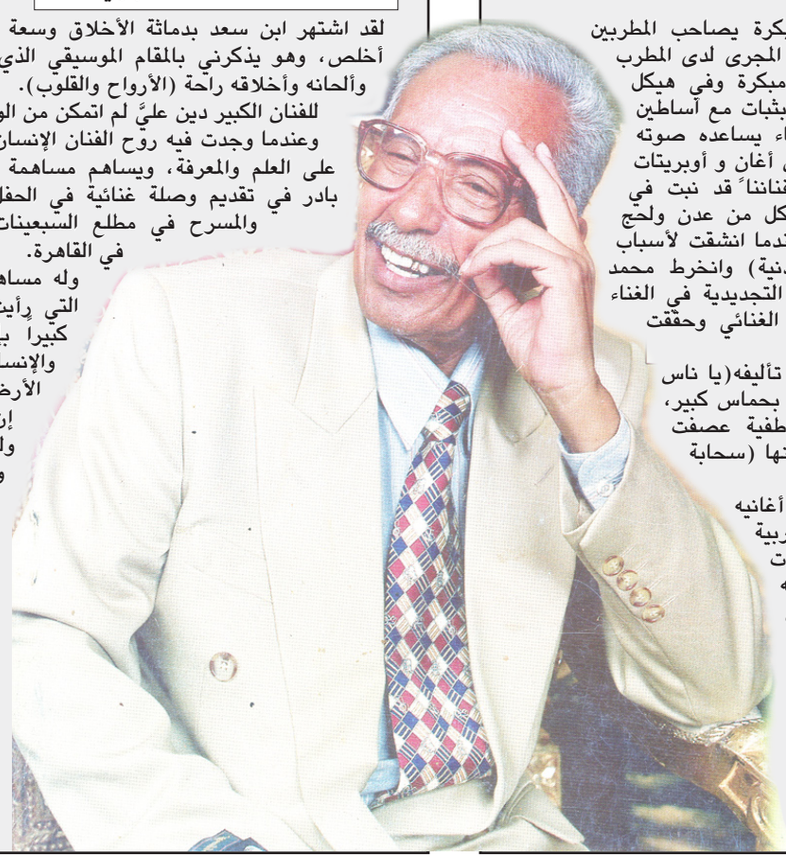

من أغانيه

اللي مضى ما عاد يرجع

كلمات ولحن وغناء محمد سعد عبدالله

تجيني وقت ما قلبي ابتدأ ... ينسى ويقنع
تجيني تفتكر عادنا ... للحب بارجع
خلاص اللي مضى بينك وبيني ... مضى واللي ما عاد يرجع
تجيني تعتذر تسكب دموعك ... تجيني تفتكر بارحم خضوعك
يمكن نسيت أني بكيت ... من كثر غدرك
يمكن نسيت أني التويت ... في نار هجرك
خلاص اللي مضى بينك وبيني ... مضى واللي مضى ما عاد يرجع
يكفيني ضنى منك وحيره ... تقنع يا هلي شوف لك بصيرة
قلبي الحزين حالف يمين ... ما عاد يريدك

كلمة ولو جبر خاطر

كلمة ولو جبر خاطر ... والاّ سلام من بعيد
والاّ رسالة يا هاجر ... في يد ساعي البريد
أنا في انتظارك تقابلني ... وتسمع شكوتي حتى النهاية
وأنت اختيارك تسامحني ... إذا حبيت أو تنسى هوايا
حرام كسر الخواطر ... وذا الجفا ما يفيد
كلمة ولو جبر خاطر ... والاّ سلام من بعيد
ايش من ذنب عندي ... أستاهل عليه هجرك والعناد
ياللي خنت عهدي ... بعت الود ليه من بعد الوداد
حرام ما دمت صابر ... تهجر وتبعد بعيد
كلمة ولو جبر خاطر ... والاّ سلام من بعيد
إن كنت ناوي تعذبني ... أنا راضي بتعذيبك وأحبه
من منك أنت يقنعني ... ومن يقدر يخليني أحبه
حرام كسر الخواطر ... وذا الجفا ما يفيد
كلمة ولو جبر خاطر ... والإسلام من بعيد

معجم الغناء اليمني بفن الأصالة والمعاصرة

أقول وللأمانة إن الفرصة التي أتاحها لي الله سبحانه وتعالى بالتعرف إلى شخصية محمد سعد عبدالله وعن قرب مكنتني من الوصول إلى محمد سعد عبدالله (الإنسان) بعظمته وبما رأيته فيه من خصال حميدة فهو متسامح،متواضع،رحيم،شامخ،عفيف، وقدوة قلما يجود بمثلها الزمان.

وللفقيد مدرسة غنائية مستقلة تأثر بها العديد من الفنانين في أعمالهم الغنائية داخل الوطن وخارجه ومنهم الملحن المرحوم أحمد محمد ناجي والملحن أحمد تكرير والمرحوم سعيد أحمد بن أحمد والمرحوم بدوي الزبير ومن الخارج الفنان السعودي عبادي الجوهر الذي يبدو التأثر واضحاً وجلياً في أعماله ونتاجه الغنائي.

الفنان/ عصام خليدي

استخدم الفنان الراحل معظم المقامات الموسيقية العربية والشرقية والغربية في أعماله.كان يحب مقام(الرست) بدرجاته(الدو،الفا،الصول)...إلخ ومقام (البياتي) ،ومقام (الكرد)،ومقام (النهوند)، ومقام (العجم) (والحجاز)،ومقام (الحجازكاركود).

للفنان محمد سعد عبدالله كثير من الإسهامات العظيمة في تطوير الأغنية اليمنية والارتقاء بمستواها الفني العظيم وإبرازها بشكل غنائي موسيقي حديث.

فقد تمكن من إعطائها كل المقومات والمعطيات التي ارتكزت عليها لتصبح عوامل هامة في تشكيل بنيتها وقوامها الموسيقي اللحني والنغمي مثل:-

- المقدمة الموسيقية (المستقلة) عن ما يغنيه الفنان من كلمات ملحونة بصوته أثناء الأداء.
- التلحين بطريقة المذهب بعد المقدمة الموسيقية وتعدد الكوبليهات.
- تعدد المقامات الموسيقية المستخدمة في الأغنية الواحدة.
- تعدد اللازمات أو الفواصل الموسيقية أثناء الأداء النغمي والصوتي للمطرب.
- النهاية الموسيقية أو ما يسمى بـ(القفلة الموسيقية) التي يختم بها الملحن لحنه،وغالباً ما تكون مختلفة عن الجمل الموسيقية الموجودة داخل اللحن ولكنها منسجمة مع الخط الميلودي العام.وهذا ما تجلى في روائعه:- (كلمة ولو جبر خاطر)، (جدد أيام الصفا)،(هاجري حبه) (أنا ما طيف)،(أنا أقدر أنساك)،(يا طير يا ذا المعلي)،(لهيب الشوق)،(ايش همني)،(سل فؤادي الحزين)، موشح (يا ساري البرق)، (اعز الناس) ، (تجيني)،(فات الاوان)، (محلا السمر جنبك) ، (الصبر طيب) ، (سلام كثير) وغيرها

كانت لتجربة الأستاذ الراحل محمد سعد عبدالله رحمه الله محاور كثيرة تحدثنا عنها سلفاً إضافة إلى أنه استطاع بموهبته الأصيلة إجادة غناء كافة الألوان الغنائية اليمنية.وهناك تجربته الإبداعية الخاصة في الإبداع شعراً وتلحيناً للون الغنائي الصنعاني وهذا ما شخص في أغانيه المميزة (غزال البيد)،(سر مكنون)،(أمير الغيد).

تفرد الفنان محمد سعد عبدالله عن غيره بتقديم نماذج شعرية بكل اللهجات المحلية بأسلوب فريد متميز (أسلوب السهل الممتنع) وبذلك أثرى الأغنية العاطفية شعراً ولحناً بالاضافة لاشتغالة الجاد والملتزم في تعدد وتنوع قضايا ومواضيع اعماله الفنية ومنها:

الأغنية الوطنية:(يا بلاد الثائرين)،(قائد الجيش البريطاني)،(يوم عشرين)

الأغنية الرمزية(مسيكين الجمل يعصر)،(مطالب شعب)،(قال بن سعد).

الأغنية الموضوعية:(فتاة الريف)،(سعيدة)،(يوم الأحد).

هذا يُعد فيضاً من غيض،عطاء فناننا القدير محمد سعد عبدالله ونتمنى أن نكون قد وفقنا في الحديث عن بعض عطاءات هذا العملاق لخدمة اليمن فهو بحق معجم الغناء اليمني بفن الأصالة والمعاصرة.

بمناسبة تكريمه في مركز حنبلة واختياره للفنان عصام خليدي لتقديم قراءة نقدية في مشواره الغنائي ونماذج من أعماله